هل تعد عروضك ملهمةً؟

أحد خطابات التاريخ العظيمة تعلم دروساً مذهلة

هـل حدث لـك أن جعل أحـدُ خطاباتـك مستمعيـك يتظاهرون في الشـوارع على مدى ثلاثة أيام في أجواء مـن الصخب، والشغب، والمرح العـارم؟ هذا ما تمخض به خطاب الرئيـس الأمريكي جون اف. كندي الذي ألقاه في برلين الغربية. أكثر من مليون إنسان تقاطروا في صفوف طويلـة إلى رودولـف وايلـد بلاتز في المدينـة المقسمة كـي يستمعوا إلى الرئيـس الأمريكـي الشاب الذي اختُـبرت مقاومته للشيوعيـة اختباراً شديـداً بسبب الفشل الذريع في خليج الخنازيـر، كما اختُبرت في أزمة الصواريـخ الكوريـة، وفي مسألـة جـدار برلـين ذاتها. ربمـا كان ذاك الاحتشـاد الأكبر تجمعاً في تاريخ البشرية. كان سكان برلين الغربية في حاجة ماسة إلى إعادة تأكيد؛ شعروا بأنهم باتوا معزولين بفعل الجدار الذي بني حديثاً.

obeikandl.com

في دقائق قليلة، استطاع كندي الذي كان يخاطب الناس عبر مترجم فوري أن يخلق ثورة من الحماسة في نفوس مستمعيه. لقد حثهم خطابه على التظاهر في الشوارع على مدى ثلاثة أيام متتابعة إلى أن تمكنت قوات الشرطة والجيش من استعادة السيطرة على الأوضاع.

ما السر الذي كان كامناً وراء قوة كندي؟ كيف تواصل مع جمهوره بهذه القوة؟ ما الدروس التي يمكن أن يفاد منها في هذا الخطاب الخارق للعادة؛ بالرغم من قصر زمنه، وبساطته؟ هل يمكن الإفادة من الدروس المستقاة منه على صعيد إعداد عروض عمل نموذجية؟

إن النظر إلى خطاب كندي بعناية، وبشيء من التفصيل يثمر ستة دروس بوسعها أن تساعدك على إعداد خطاباتك. إن لم يصل بك الأمر إلى حمل الناس على التظاهر في الشوارع، فإنك تستطيع على الأقل أن تجعل عروضك، وخطاباتك، ومحادثاتك أبقى في الذاكرة من المحادثات التجارية العادية.

1-اكتب خطابك بنفسك

لقد كتب كندي خطابه القصير بنفسه، وأصر على إلقائه بنفسه؛ بالرغم من اعتراضات القيادة العسكرية. كان جنرالات الجيش قلقين من أن يحمل الخطاب مواطني برلين المتوتري الأعصاب على إثارة أعمال شغب؛ وهذا ما فعلوه حقيقةً. النقطة المهمة في الموضوع هي أن كندي تجنب الأسلوب البيروقراطي في الخطاب، وتحاشى عن الإطالة لأنه لم يكن لديه الوقت الذي يسمح له بالإطناب، وكثرة الكلام. أعد خطابه على عجل عبر الأيام القليلة التي سبقت زمن الحدث، وهو في

طريقه إلى برلين. مفتقراً إلى الموارد الحكومية المعتادة التي تساعده في مثل هذه المناسبة، أُجبر كندي على جعل خطابه بسيطاً.

أظهر الخطاب، أيضاً، معتقداته بحميمية أكبر من أي خطاب خطه لـه كتبة خطاباته على الإطلاق. وهذا هـو أول درس يمكن أن يفيد منه المتحدثون في شؤون تجاريـة. بدلاً من أن تطلب من موظفيك أن يدونوا لـك بعض الملاحظات مما يعتقدون أنه يجب عليك قوله، خذ ما تحتاج إليه من وقت كـي تحدد النقاط الرئيسة بنفسك لنفسك، ثم اعهد إلى الباحثـين العاملـين معك بأن يضيفـوا أي تفصيل فاتـك تدوينه؛ بتلك الطريقة يزداد احتمال إظهار العرض لمعتقداتك وتفكيرك.

2- اجعل عرضك بسيطاً وصادقاً

ينتمـي الخطاب إلى مجموعة مختارة مـن الخطابات التي تعمر في الذاكرة طويلاً، وتستغرق من الوقت عشر دقائق، أو أقل من ذلك، وتركز على موضوع واحـد واضح. إنه الكمال، والإيجـاز، والبساطة المتطابقة مـع مناسبة مهمة يتمخّض بها خطابٌ بلاغي، وبياني ذهبي. كثيرة هي الخطابات الطويلة إلى درجة تبعث على الملل والسذاجة أيضاً؛ وقلة هم من يخططون لقول الكلام الصحيح في الزمن الصحيح باستخدام أقل قـدر ممكن من الكلمـات. خطاب لنكولن في غتسـبرغ، وخطاب مارتن لوثـر كينغ، دجـي آر. الذي قال فيه «.. لدي حلم»، وكذلك «خطبة عظة الجبـل»؛ كلهـا تتضمـن هـذه العناصر التـي تجعل الخطابـات عصية علـى النسيان. كلمة رونالد ريغان التأبينية التـي ألقاها لمناسبة مأساة

تشالنجر تقترب من هذا النموذج؛ الزمن هو الحكم على قوة الخطاب التي تبقيه حياً في الذاكرة.

في كل حالة من الحالات التي استعرضناها نجد أن وضوح الخطيب المطلق، وإيمانه الراسخ يأتيان في المقدمة، ثم تتبعهما البساطة، وفن الإلقاء. أخيراً، يتصف الخطاب بأنه كان ناجحاً في اللحظة التي يخلده فيها التاريخ، ويبقيه حياً في الذاكرة.

في حالة كندي، كان الخطاب عن الحرية، وعن وحدة الشعوب الحرة، منهم مواطنو برلين. يقول كندي: الشيوعية هي عدو الحرية، بيد أنها لا تستطيع أن تنتشر في كل مكان برغم عن الشعوب الحرة. يقول كندي: «بالرغم من أن دون الحرية صعوبات جمة، وبالرغم من أن الديمقراطية ليست مثالاً للكمال، لكن هذا لا يعطينا الحق مطلقاً في بناء جدار كي نجر شعبنا خلفه». إن كلماته لا تنسى؛ لأنها تعاملت، مباشرة، مع الواقع القاسي الذي يجابه مواطني برلين. لم يحاول كندي أن يجمل حقيقة الموقف البشعة، بل جابه جدية الأزمة السياسية بمزيج من العاطفة والقوة.

3- لبِّ احتياجات جمهورك

لقد فهم كندي، على نحو جوهري، احتياجات مواطني برلين، وجعلها محور خطابه. لقد حال جدار برلين، لتوه، بينهم وبين الحرية، وبات مفهوماً أنهم يشعرون بالعزلة، وبخطر تخلي الغرب عنهم. هل تؤازرهم أمريكا؟

تألـق كندي في معالجـة هذه الاهتمامـات عبر حديثـه عن الحرية بوصفهـا غير قابلـة للتجزئة حينما قـال: «إذاً، اسمحـوا لي أن أطلب منكـم، قبل أن أختم خطابي، أن تتطلعوا إلى أبعد من الأخطار القائمة اليوم؛ إلى آمال الغد، إلى ما هو أكثر من حرية مدينة برلين وحدها، أو إلى حريـة بلدكم (ألمانيا)، أن تتطلعـوا إلى تقدم الحرية في كل مكان، إلى مـا ينتظرنا خلف الجدار؛ إلى يوم ننعم فيه بالسلام والعدالة ليس لكم وحدكم وليس لنا وحدنا، بل لكل أبناء الجنس البشري». وأضاف:

«إن الحريـة غير قابلة للتجزئة، وعندما يستبعد إنسان واحد، فهذا يعنـي أن الناس جميعاً ليسـوا أحراراً. عندما نستطيـع أن نتطلع قدماً إلى الأمـام: إلى اليوم الذي تعود فيه هـذه المدينة إلى وضعها الطبيعي بوصفها مدينة واحدة، وتنخرط هذه البلاد، وقارة أوروبا العظيمة هذه في عالم ينعم بالسلام، ويحدوه الأمل. عندما يتحقق ذاك اليوم أخيراً، ولسوف يتحقق، يستطيع أهل برلين الغربية أن ينعموا بالرضى الرصين كونهم عاشوا نحو عقدين من الزمن على خطوط المجابهة الأمامية».

كثيرة هي الخطابات الطويلة إلى درجة تبعث على الملل، وقلة هم من يخططون لقول الكلام الصحيح في الزمن الصحيح باستخدام أقل قدر ممكن من الكلمات

«كل الأحرار أينما وجـدوا فهم مواطنو برلين، وبوصفي رجلاً حراً، أفخر حين أقول: أنا مواطن من برلين».

بمؤازرتهـم، وضم جهده إلى جهودهم فيمـا يتعلق بقضية الحرية، عالـج كندي أكثر مخاوف جمهوره تجذراً. «أنا مواطن من برلين»، هذا الكلام هو ما رغبت المدينة في سماعه على وجه التحديد.

4- ناشد جمهورك عبر قضية أكبر من مصالحهم الذاتية

نحـن -بني البشر -نبلاء، وأنانيون في آن معاً. إن كنت تخطب ودنا عبر مصالحنا الذاتية فقط، فسـوف نصغي إليك، وقد نثمن كلماتك، بيد أننـا لن نحترمك. نحن نعـرف معنى إرضاء النـزوات والرغبات، وسرعـان ما ندرك ذلك. إن الميل لإرضاء نزوات الجماهير هو ما يؤدي بمعظم الخطابـات السياسية، هذه الأيام، إلى عالم النسيان. لقد فهم كنـدي أن مـا يفعله ربما يكون صعبـاً لمواطني برلين، وقـد يمثّل خطراً عليهم (وعلى مواطنـي العالم الحر)، بيد أن مبدأ القضية يستحق من النـاس أن يقاتلوا من أجله. كي تستنهض، هـم جماهيرك - وتحملهم على التمرد - يجب عليك أن تبين لهم كيف أن المصلحة الذاتية تتطابق مع أسمـى المبادئ منها؛ الأمر الذي يجعـل التضحية الشخصية واجباً مستحقاً إن لزم الأمر.

5- اندمج في جمهورك

بوسعك أن تعظ جمهوراً عن أمور عظيمة، على أي حال، إن لاحظت الجماهـير أنـك بعيد عنهـا، بيـد أن البعد عن الجماهـير يعد مفارقة

أخرى تسبب متاعب للخطباء. يجب عليك أن تجد طرقاً تجعلك تتماثل مـع جمهورك، ثم إنه يجب عليك أن تجعل التماثل بينك وبين جمهورك واضحاً في وقت باكر، وأن تجعله يستمر؛ عند ذلك فإن جمهورك يمكنه أن يستقبـل رسالتك بقلوب مفتوحـة. إنها طريقة لبناء الثقة في مرحلة مبكـرّة. ترغـب الجماهير في أن يكون للخطبـاء مصداقية، وأن يكونوا أهلاً للثقة. لا تستطيع أن تكون محل ثقة الجمهور إن لم تستطع أن تعثر على وسيلة تمكنك من التواصل معهم.

لقد أدرك كندي هذه الحقيقة، وأدرك أن الخطوة الأولى التي يجب عليـه اتخاذها هي الاقتراب من الجمهور بالمعنـى ذي الدلالة الرمزية الضرورية التي تظهر أنه يتفهم مشكلاتهم.

6- كرر استخدام عبارة بارزة جديرة بأن تُذكر

لقـد كان في خطاب كندي كثير مـن التكرار برغم قصره. إنها أكثر الوسائـل اللغويـة المفردة أهميـة في صناعة الخطـاب. تجد الجماهير صعوبـة في تذكر ما تسمعـه -تشير كل الدراسـات إلى أن الجماهير لا تتذكـر إلا نسبـة مئوية ضئيلة مـن العروض التي تشاهدهـا- والتكرار يساعـد الجماهـير علـى البقـاء في حالة جيـدة، ويشعرهـم بنوع من السيـادة علـى المناسبة. لذلك قاوم الإغراء الـذي يدعوك إلى محاولة الظهـور بمظهر الذكي على حساب جمهورك، وابحث بدلاً من ذلك عن أساليـب تمكنك من تكرار ذكر رسالتك الأساسية؛ بحيث تبقى حية في

ذاكـرة الجمهـور. أعاد كندي عبـارات كثيرة أكثر مـن مرة في خطاب برلين في بداية خطابه، وقبل أن يختمه أيضاً:

«يوجـد كثـير من الناس في العـالم لا يفهمون حقـاً، أو لنقل إنهم لا يفهمـون ماهيـة القضيـة العظيمـة القائمة بـين العالم الحـر والعالم الشيوعـي، فليأتـوا إلى برلين. بعضـ الناس يقولـون: إن الشيوعية هي موجـة المستقبل، فليأتـوا إلى برلين. وثمة من يقـول في أوروبا وغيرها: نستطيـع أن نعمل مـع الشيوعيين، فليأتوا إلى برلـين. ويوجد عدد قليل من الناس يقولون: صحيح أن الشيوعية نظام شيطاني، لكنه يسمح لنا بأن نحقق تقدماً اقتصادياً، فليأتوا إلى برلين».

هل هو خطاب الكتابة المبرومة الهلامية؟

مـن المستحيـل أن تناقش خطاب كنيدي الذي ألقـاه في برلين دون أن تشير إشارة عابرة، على الأقل، إلى الهفوة الطفيفة التي أعزت بعض الناس بإطلاق اسم «خطاب الكتابة المبرومة الهلامية» عليه. إن كلمة «بوليـنر» Berlier الألمانية تعني «برلينيا»، كمـا أنها تشير إلى نوع من أنواع الحلوى الألمانية ترجمة تعبير كنيدي المتقد:

«I take pride in words Ich bin ein Berliner»

تغني حرفيـاً: أفخر بالقول: «أنا كتابة مبرومة هلامية» (كي يقول أنا برلينـي، كان على كنيدي أن يقول:«Ich bin Berliner» من حسن حظ كنيدي، أن التسامـح أرحب مدى مع الخطأ الذي يرتكب في الخطاب المرتجل منه في الخطاب المكتـوب في الحقيقة، الدقة مطلوبة، بيد أن الصدق، والإخلاص، والعاطفة أكثر أهميةً.

إن اللحظة التاريخية التي يتوحد فيها الخطيب مع القضية ليصنعا خطاباً لا ينسى هي نادرة الحدوث. لكن عندما تحدث يتردد صدى الكلمات عبر السنين لتلهمنا بعد أن يمضي كل من اللحظة، والخطيب، والقضية. نستطيع أن نتعلم دروساً من اللحظة التاريخية، وأن نطبقها في خطاباتنا. قد تكون النتيجة ضرباً من البلاغة والبيان العظيمين؛ حتى إن لم تصل الأمور بمستمعيك إلى التظاهر، وممارسة أعمال شغب في الشوارع.

قراءات إضافية

Lend Me Your Ears: Great Speeches in History revised edition (1997, Norton)

The Lost Art of the Great Speech: How to Write One—How to Deliver It (1999, AMACOM)